تشيماماندا نغوزي أديتشي

عزيزتي هاجَر، أو مانيفستو نسويّ بخمسة عشر مقترحاً

ترجمة: لميس بن حافظ

الأعمال الكاملة 830

تشيماماندا نغوزي أديتشي

الأعمال الكاملة 830

عزيزتي هاجَر

أو

مانيفستو نسويّ بخمسة عشر مقترحاً

روايات
REWAYAT
روايات، مجموعة كلمات

إلى أوجو إيقونو

وأختي الصّغرى، أوقيتشوكوي أيكيميلو

مع كثيرٍ من الحبّ.

مقدّمة

قبل بضعة أعوام طلبت منّي إحدى صديقات طفولتي، وقد كبُرَت وأصبحت الآن امرأة ذكيّة، قويّة وطيّبة، أن أخبرها كيف لها أن تربّي طفلتها الصغيرة لتصبح نسويّة. أوّل ما تبادر إلى ذهني حينها هو أنّي لا أعرف! شعرتُ أن مهمّة كبيرة جدًا قد أوكلَت إليّ.

لكنّي تحدّثتُ من قبل حول النسويّة بصراحة وعلى الملأ، وربما هذا ما جعلها تشعر أنّي خبيرة في هذا الموضوع. وخلال أعوامٍ كثيرة مضت، ساعدتُ كذلك في الاعتناء بكثيرٍ من أطفال بعض المقرّبين منّي؛ عملتُ جليسةَ أطفال وساعدت في تربية أطفال إخوتي. قمتُ مرّاتٍ كثيرة بمهمّات المراقبة والاستماع، وتفكّرتُ في ذلك طويلًا.

استجابةً لطلب صديقتي، قرّرت أن أكتب لها رسالة، وتمنّيت أن تكون الرسالة صادقة وعمليّة، وفي الوقت ذاته بمثابة خريطة خاصّة لطريقتي في التفكير النسويّ. هذا الكتيّب هو نسخة من تلك الرسالة، لكن مع بعض التغيير في التفاصيل.

وبما أنّي الآن أصبحت أمًّا لفتاة صغيرة سعيدة، أدركتُ كيف أنه من السّهل إبداء النُّصح حول تربيّة الأبناء عندما لا تواجِه ذلك الواقع المعقّد جدًا بنفسك.

لكنّي ما زلت أعتقد أنّ الواجب الأخلاقيّ المُلِحّ يتطلّب حوارًا صادقًا حول تربيّة الأبناء بشكل مختلف، وحول محاولة خلقِ عالمٍ عادلٍ أكثر للرجال والنساء على حدٍّ

سواء.
أرسَلَت إليّ صديقتي ردًا قائلة بأنها "ستحاول" أن تتّبع اقتراحاتي.
أعدتُ قراءة هذه المُقترحات كأمٍّ الآن، وملئي إصرارٌ، أنا أيضًا، على المحاولة.

***

عزيزتي هاجَر،
يا للسعادة. ويا لجمال اسم طفلتك المركّب: تشيزالوم أداورا. تبدو جميلة جدًا. رغم أنها تبلُغ من العمر أسبوعًا واحدًا فقط، فإنّ فضولها لمعرفة العالم بادٍ على محيّاها. يا له من أمر رائع الذي قمتِ به: إنجاب إنسانٍ إلى هذا العالم. أشعر أنّ كلمة "تهانينا" متواضعة جدًا لتهنئتك.
أبكتني رسالتك. تعرفين كيف تغلبني عاطفتي الحمقاء أحيانًا. أودّ أن أُعلمَك أنّي أخذت طلبكِ - كيف تربين طفلتك لتصبح نسويّة - على محمل الجدّ. وأعي تمامًا ما تقصدين بجهلك ردَةَ فعل المرأة النسويّة حول مواقف بعينها. بالنسبة لي، النسويّة هي أمرٌ يقترن بعدّة أمور أخرى. ليست لدي قاعدة ثابتة. بل لديّ صيغة تقريبيّة وهي "أدوات النسويّة"، وأودّ مشاركتك إيّاها كنقطة بداية.
الأداة الأولى هي **المبدأ**، وهو الاعتقاد المتين الذي لا ينثني ويجب أن نبدأ به. ما هو مبدؤكِ؟ إنّ مبدأك النسويّ يجب أن يكون: أنا مُهمّة، ولي تقديري كما للآخرين بالتساوي، دون اشتراطات من قَبيل "لو فقط"

أو "طالما أنّ". أنا مُهمَة كالآخرين بالتساوي. نقطة انتهى.
الأداة الثانية هي أن تسألي نفسك هذا السؤال: هل بالإمكان أن تقلبي الأدوار مع **س** فتحصلي على النتيجة نفسها؟
مثلاً، يعتقد كثيرٌ من الناس أن ردّة فعل المرأة النسويّة تجاه خيانة زوجها لها هو أن تتركه وترحل. لكنّي أعتقد أن البقاء يُمكن أن يكون هو أيضًا قرارًا نسويًا، وهذا يعتمد على الأمور الأخرى المقترنة بهذا الموضوع. إنْ قامَ تشودي بمضاجعة امرأة أخرى وقمتِ أنتِ بمسامحته، فهل تعتقدين أنّه سيسامحكِ أنتِ أيضًا إنْ قمتِ بخيانته مع رجلٍ آخر؟ إن أجبتِ بنعم، فسَيعتبر خياركِ أن تسامحيه خيارًا نسويًا لأنه لم يتأثر بموضوع الفرق بين الجنسين. المحزن أن الجواب لذلك السؤال في معظم حالات الزواج هو لا، والسبب يعود إلى أمور تتعلّق بالتمييز الجنسيّ، من ضمنها تلك الفكرة المنافية للعقل وهي أن "الرّجال يبقون دائمًا رجالًا،" وهذا يعني التزامًا أقلّ بالمبادئ الزوجيّة في تلك الحال.
لديّ بعض المقترحات لتربية تشيزالوم. لكن تذكّري أنّكِ ربما تطبقين كل ما اقترحتُهُ عليكِ، لكنها قد تكبر لتُصبح مختلفة عمّا أردته، لأن الحياة في بعض الأحيان تفعل أفاعيلها. الأهمّ هو أن نحاول. وأن نضع ثقتنا بحدْسنا فوق كل اعتبار، لأن دليلكِ في ذلك هو حبّكِ لطفلتكِ.
إليكِ مقترحاتي:

المقترح الأوّل

كوني شخصًا كاملاً. الأمومة هديّة رائعة، لكن لا تعرّفي نفسكِ بها، ولا تحبسي شخصيّتك في إطار الأمومة وحسب. كوني شخصًا كاملاً. ستجني طفلتكِ فوائد جمّة من هذا الأمر. مارلين ساندرز، الصّحفيّة الأمريكية الرائدة التي كانت أوّل امرأة مراسلة تغطّي الحرب الفيتناميّة من أرض المعركة وتنقل الأخبار من هناك (كانت حينها أمًّا لطفل)، قدَمَت مرّة نصيحة لصحفيّة شابّة، "لا تعتذري مُطلقًا عن عملِك. أنتِ تحبّين ما تقومين به، وحبّكِ ذاك هو هديّة عظيمة تمنحينها لطفلك."

أعتقد أن نصيحتها حكيمة ومؤثّرة. ليس عليكِ حتى أن تحبّي وظيفتكِ؛ تستطيعين على الأقل أن تحبّي تأثير الوظيفة عليك: الثّقة بالنفس وتحقيق الذات الذي يأتي من العمل والكسب.

لم أتفاجأ عندما قالت لكِ أخت زوجكِ أنّه يتوجب عليكِ أن تصبحي أمًّا "تقليدية" وأن تجلسي في المنزل، فلا تحتاج عائلة تشودي دخلاً إضافياً، لا داعي للدّخل الماليّ المزدوج.

يختار الناس استخدام كلمة "تقليدي" عندما يودون إعطاء تبريرٍ لأي شيء. أخبريها إن العائلة ذات الدخل المزدوج هي في الواقع تقليد من تقاليد شعب الإيغبو الحقيقية؛ فلم تعمل الأمهات في مجال الزراعة والتجارة قبل الاستعمار البريطاني وحسب، بل إن

التجارة كانت عملاً خاصًا بالمرأة في بعض أجزاء أرض الإيغبو. أعتقد أنه من المفترض أن تعرف هي ذلك أيضًا، هذا إن لم تكن ترى أنّ قراءة الكتب هي أمرٌ خاصّ بالمخلوقات الفضائية! حسنًا، كانت تلك مزحة لأجعلكِ تبتهجين. أعلم أنّك منزعجة – وعليكِ أن تشعري بذلك – لكن أفضل ما يمكن القيام به هو تجاهل تلك المرأة. يُبدي الجميع دائمًا رأيهم حول الطريقة التي يجب أن تتصرّفي بها، لكن ما يهم هو ما تريدينه أنتِ لنفسكِ، وليس ما يريده الآخرون لكِ. أرجو منكِ نسيان فكرة أنّ الأمومة والعمل يتعارضان.

خلال نشأتنا، عَمِلَتْ أُمّهاتنا بدوام كامل، وتربّينا بشكل جيّد – على الأقل بالنسبة لكِ؛ أمّا بالنسبة لي فما زلتُ أنتظر الحُكم في ذلك!

في الأسابيع الأولى القادمة من **الأمومة**، ارْأفي بنفسكِ. اطلبي المساعدة. واستقبلي المساعدة. لا يوجد شيء اسمه المرأة الخارقة. تربية الأبناء "parenting" تتطلّب التمرُّس والحب (تمنّيت، رغم ذلك، أن الاسم "**الأبوَين parents**" لم تتحول إلى فِعل "تربية parenting"، والتي أعتقد أنها هي السبب الأساسي في أن التربية parenting [بجذرها الأبويّ المأخوذ عن "الأبوَين parents"] أصبحت ظاهرة عالمية تختص بالطبقة الوسطى وتشبه رحلة لا نهائية مليئة بالقلق والشعور الذنب.)

أعطي لنفسك المجال للفشل. لأن المرأة التي أصبحت

أماً حديثاً لا تعرف بالضرورة كيف تهدّئ طفلاً باكيًا. لا تفترضي أنّكِ يجب أن تعرفي كل شيء. اقرئي كتبًا، وابحثي في الإنترنت، واسألي الآباء الأكبر سنًا، أو فقط حاولي وأخطئي. لكن الأهمّ هو تركيزك على أن تبقي شخصاً كاملاً. خصّصي وقتًا من أجلكِ. اهتمّي باحتياجاتك الخاصة.

أرجو ألّا تفكري بأنّك يجب أن "تقومي بكل شيء". ثقافتنا تحتفي بالمرأة التي باستطاعتها "أن تقوم بكلّ شيء"، لكن ثقافتنا في الوقت نفسه لا تعترف بمبدأ الثّناء على ما تقوم المرأة به. لا يثير اهتمامي النقاش حول المرأة التي "تقوم بكل شيء" لأنه نقاش يفترض أن العناية بالأطفال والأعمال المنزليّة هي أمور تختصّ بالنساء، تلك الفكرة التي أرفضها بشدّة. الأعمال المنزليّة والعناية بالأطفال يجب أن تكون مهمّة مشتركة بين الجنسين، ولا يجب علينا أن نسأل إن كانت المرأة تستطيع أن "تقوم بكلّ شيء"، بل عوضًا عن ذلك علينا أن نسأل كيف بإمكانها أن تكون طرفًا فاعلًا في عمليّة الاعتناء بالأبناء، وكيف يمكنها المساندة في المهامّ المشتركة في العمل والمنزل مع الطرف الآخر.

المقترح الثاني

تشاركا في القيام بكل شيء. هل تذكرين عندما كنّا في المدرسة الابتدائيّة، وتعلّمنا في دروس اللغة أن الفِعْل يعني أن "تقوم" بشيءٍ ما؟ بمعنى آخر، الأب معنيٌّ بالقيام بالواجبات كما الأم. يجب على تشودي أن يقوم بفعل كل شيء تتيحه له طبيعته البيولوجية: وهي المَهامّ المنوطة بك كلّها باستثناء الإرضاع. في بعض الأحيان تكون الأمهات قد تربّينَ على أن يصبحن كل شيء، ويقُمنَ بكلّ شيء، وذلك يورّطهن بتقلّص دور الآباء. قد تعتقدين أن تشودي لن يحمّم الطفلة كما ستفعلين أنتِ، أو قد لا ينظّف مؤخرتها بطريقة صحيحة كما تفعلين أنتِ. وما المشكلة في ذلك؟ ما هو أسوأ ما قد يحصل؟ لن تفارق الحياة على يد والدها! أنا جادّة فيما أقول. إنّه يحبّها. إنه لأمرٌ جيّد بالنسبة لها أن يعتني بها والدها أيضًا. لذلك لا تدقّقي في الأمر، واكبحي هوسك بالكمال، هَدِّئي حسّ المسؤولية لديكِ الذي اكتسبتِه من نشأتكِ الاجتماعيّة. تشاركا العناية بالطفلة بالتساوي. "بالتساوي" تُعنى بكما أنتما معاً، ويجب عليكما تنسيق تلك الأمور فيما بينكما، مع ضرورة مراعاة احتياجات كل شخص منكما. لا يعني ذلك أن تقسما الأمور مناصفةً بينكما بشكل حرفيَ، أو أن يحدث ذلك التشارُك يوميًا، أو أن تسجّلا ذلك وتتابعانه بشكل منتظم. لكن على ذلك أن يحدث في العموم، وستلاحظين نتيجة أن يكون الاعتناء بالطفل

مسؤولية مشتركة بينكما. ستلاحظين عندما يَقِلّ امتعاضك! فعندما توجد مشاركة حقيقيَة، لن يكون لمشكلة الامتعاض وجود.

وأرجو منك أن ترفضي لغة المساعدة. إن تشودي هنا لا لـ "يساعدك" بالاعتناء بطفلته. فهو يقوم بواجبه. عندما نقول إنّ الآباء "يساعدون" فهذا يوحي بأن الاعتناء بالأطفال هي منطقة خاصة بالأمهات فقط، وكأن مساعدة الآباء تُعتبر مجازفة وبسالة منهم. الأمر ليس كذلك. هل تتخيّلين حجم السّعادة والاستقرار والإنجاز الذي كان سيعيشه ويحقّقه بعض الأشخاص لو كان فقط لآبائهم حضورٌ فعّال في طفولتهم؟ لا تقولي إن تشودي "يُجالس الطفلة babysitting" – إن الأشخاص الذين تكون مهمَتهم مجالسة الأطفال لا يُعد الطفل مسؤوليتهم الأساسية. لا يحق لتشودي أن يحصل على تقدير أو ثناء من نوع خاص، ولا تستحقين ذلك أنت كذلك... فإنجاب طفلة إلى هذا العالم هو قرار مشترك بينكما، ومسؤولية العناية بتلك الطفلة هو مسؤوليتكما معاً بالتساوي. سيكون الأمر مختلفاً إن دفعَت بك الظروف أن تكوني "أمًا عزباء" أو اخترتِ ذلك. لكنكما اخترتما أن "تقوما بذلك معًا" لذلك لا يَحتمِل الأمر خيارًا آخر هنا. لا يتوجّب عليكِ التصرّف كأمٍّ عزباء إلّا إنْ كُنتِ فعلاً أمًا عزباء.

أخبرني صديق لي مرّة، اسمه نوابو، أنّ زوجته تركَته عندما كان أطفاله ما زالوا صغارًا في السنّ، ولذلك

أصبح هو "السيّد الأم"، وكان يعني أنه يعتني بهم يوميًا. لكنه لم يكن "السيّد الأم"؛ بل كان ببساطة يمارس دور الأب.

علّميها أنّ فكرة "أدوار الجنسين" هي أمر لا أساس له من الصحّة إطلاقًا. لا تخبريها أبدًا أنّه يجب عليها أن تقوم بشيء أو أن تمتنع عن القيام به لمجرّد أنها فتاة.

جُملة "لأنّكِ فتاة" لا تُعتبر سببًا لأيّ شيء، إطلاقًا.

ما زلت أذكر عندما كُنتُ طفلة وقيل لي "انحني بشكل صحيح وأنت تكنّسين، انحني **كفتاة**،" وذاك يعني أن كَنْسَ الأرض هو أمر خاص بالإناث. تمنّيت لو قالوا لي ببساطة "انحني واكنسي الأرض لتنظّفي بشكل صحيح،" وتمنيت لو قالوا ذلك كذلك لإخوتي الصّبيان.

كانت هناك مناقشات مؤخّرًا في وسائل التواصل الاجتماعي في نيجيريا حول النّساء والطّهي، وكيف أنّ الزوجات يجب أن يطبخن لأزواجهن. يا له من أمر مضحك، مضحك بالطريقة التي تكون فيها الأمور الحزينة مضحكة أحيانًا، حيث أننا ما زلنا نتحدث عن كون الطهي هو أحد اختبارات الكفاءة الزوجيّة لدى النساء.

عِلمُ الطّهي ليس مُثبّتًا مسبقًا في المهبل. إنّ الطهي هو مهارة تُكتسَب بالتعلّم – الأعمال المنزلية بشكل عام – هي مهارات حياتيّة يجب على الرجال والنساء الإلمام بها بشكل جيّد. وهي كذلك مهارة قد لا يلِم بها الرجال والنساء معًا.

ونحتاج إلى التساؤل حول فكرة أنّ الزّواج يُعتبر جائزةً للمرأة، لأنها هي الأساس في تلك المناقشات التافهة. إذا

توقّفنا عن تنشئة المرأة على أن ترى الزواج كجائزة، ستقلّ بالتالي تلك النقاشات التافهة حول أن المرأة التي تستطيع أن تطهو ستحصل على تلك الجائزة في النهاية.

أمر مثير للاهتمام بالنسبة لي كيف أن العالم يبدأ باختراع أدوارٍ للجنسين في وقت مبكّر جدًا. يوم أمس ذهبتُ إلى متجر خاصّ بالأطفال كي أبتاع لتشيزالوم بعض الملابس. في قسم الفتيات وجدت تصميمات بألوان شاحبة من درجات الورديّ الفاتح. لم تُعجبني تلك التصميمات. أما في قسم الصبيان فألوان الملابس ذات درجات زاهية من اللون الأزرق. اشتريت أحدها – لأنّي اعتقدتُ أنّ اللون الأزرق سيكون رائعًا على بشرتها السمراء، وستبدو أجمل به في الصور. عندما توجّهت إلى طاولة الدّفع، عبّرَت لي المحاسبة عن إعجابها بذوقي في اختيار هديةً للصبيّ الصّغير. قلت لها إنّ الهديّة تخصّ طفلة. فنظرَت إليّ مذعورة وقالت، "أزرق لطفلة؟"

لا يمكنني التوقّف عن التساؤل عن مدى ذكاء ذلك الشخص الذي يعمل في مجال التسويق والذي اخترع موضوع ثنائيّة اللونين الورديّ والأزرق. كان هناك أيضاً قسم خاص بـ "الجنس المحايد"، بصفوفه الرماديّة الباهتة. "الجنس المحايد" هو أمرٌ تافه لأنه يقوم على فكرة أن الأزرق يعني أن المولود ذكر، بينما الوردي أنثى، وأنّ "الجنس المحايد" هو تصنيف قائم بحدّ ذاته.

لمَ لا تصنّف ملابس الأطفال من ناحية السنّ فقط على أن تتضمّن الألوان كلّها؟ فأجساد الرُّضَع من الإناث والذكور متشابهة رغم كل ذلك. نظرتُ إلى قسم الألعاب الذي صُنِّف كذلك بناءً على نوع الجنس. ألعاب الصّبيان في مُجملها ألعاب تفاعليّة، تتضمّن القيام بنشاط ما – القطارات والسيارات مثلًا – أمّا ألعاب الفتيات فهي في مجملها ألعاب لا تتطلّب نشاطًا، والأغلبية الساحقة منها مجرّد دُمى! لقد صدمني ذلك.

لم أكن أعي كيف أن المجتمع يبدأ، مِن سنٍّ مبكّرة جدًا، في اختراع أفكار حول ما الذي يجب أن يكون الصبيّ عليه، وما الذي يجب أن تكون الفتاة عليه.

تمنّيت لو صُنِّفَت تلك الألعاب بناءً على نوعها، لا بناءً على جنس لاعبها!

هل أخبرتكِ مرّة عن ذهابي إلى مجمَع تجاريّ في الولايات المتحدة الأمريكية مع فتاة نيجيرية في السابعة من عمرها برفقة والدتها؟

لقد شاهدَت تلك الفتاة لُعبة على هيئة طائرة عموديّة، واحدة من تلك الألعاب التي تطير بمحرّك لاسلكيّ عن بُعد، وفُتِنت بها. فطلبت من والدتها أن تشتري لها واحدة. "كلّا،" قالت والدتها. "لديك الدمى الخاصة بك." فردّت عليها، "أمّي، وهل سألعب بالدمى فقط؟"

لم أستطع نسيان ذلك. والدتها كانت جادّة في قرارها وبشكل واضح. هي على دراية جيّدة بفكرة أدوار الجنسين – الفتاة يجب أن تلعب بالدمى والصبيان

يجب أن يلعبوا بالطائرات العموديّة. أتساءل الآن بحزن، هل أصبحَت تلك الفتاة مهندَسةً ثائرة؟ وهل أعطيَت فرصةً لاستكشاف تلك الطائرة العمودية بعدُ؟

إن كنّا لا نضع قيودَ أدوار الجنسين على الأطفال، فإننا سنعطيهم مساحة يحقّقون خلالها أقصى إمكاناتهم.

أرجو أن تنظري إلى تشيزالوم على أنّها فَرد، وليس فتاةً يجب عليها التصرّف بطريقة معيّنة. وانظري إلى نقاط ضعفها وقوّتها بطريقة متفرّدة. لا تضعيها في المقياس الذي يحدّد كيف للفتاة أن تكون. قومي بتقييمها بالمقياس الذي يساعدها على أن تطوّر مِن نفسها.

قالت لي شابّة نيجيريّة مرّةً إنّها، لسنوات طويلة، كانت تتصرّف "وكأنّها صبيّ" - أحبّت كرة القدم وكانت الفساتين تُشعرها بالملل - واستمرّ ذلك إلى أن أجبرَتها والدتها على التوقف عن الاهتمام بالأمور "الصبيانيّة". هي الآن ممتنّة لوالدتها التي ساعدتها على البدء بالتصرّف كفتاة. أحزنتني تلك الحكاية. وجعلتني أتساءل عن الجوانب النفسيّة داخلها والتي اضطرّت إلى كبتها وخنقها، وتساءلث عن الذي فقدَتهُ روحها، لأن ذلك الذي كانت تتصرّف وفقه "وكأنّها صبيّ" كان يعني ببساطة التصرّف على طبيعتها.

قالت لي امرأة أخرى من معارفي، وهي أمريكيّة تعيش في شمال غرب المحيط الهادئ، إنها عندما أخذت طفلها الذي يبلغ من العمر عامًا واحدًا إلى منطقة اللعب، حيث تجلب الأمّهات أطفالهن للَعب، لاحظت أن أمّهات

الفتيات الصغيرات كنّ يقيّدن حركتهن، فقد كُنّ يطلبن منهن قائلات "لا تمسكي هذا" و"توقفي عن ذاك" و"كوني لطيفة!" وقد لاحظت أن الصَبيان الصغار يُدفَعون ويُشَجّعون للاستكشاف أكثر، ولم تُقَيِّد حركتهم ولم يقل لهم أحد أن يكونوا "لطفاء" على الإطلاق. اعتقدتْ هي أن الآباء والأمّهات يقومون بشكل لا إراديّ بتعليم الفتيات كيف يتصرّفن ومنذ سنّ مبكّرة، وكيف أن الطفلة تُعطى مساحة أقل وقوانين أكثر من الصبيان الذين يحظون بمساحة أكبر وقوانين أقل.

موضوع أدوار الجنسين متغلغل فينا بسبب تنشئتنا، لدرجة أننا قد نتبعها حتى لو كانت تُغضبنا لأنها ضدّ رغباتنا الحقيقية، واحتياجاتنا، وسعادتنا. من الصَعب نسيان ما تعلّمناه، لذلك فمن المهم أن تتأكدي أن ترفض تشيزالوم ذلك منذ البداية. عوضًا عن جعلها تتقمّص فكرة أدوار الجنسَين، علَميها الاعتماد على الذّات. أخبريها أنه من المهم أن تعمل من أجل ذاتها، وأن تدافع عن نفسها. علَميها أن تُصلح الأشياء العينيَة عندما تُكسَر. نحن نفترض وبسرعة أن الفتيات لا يستطعن القيام بكثير من الأمور. قد لا تنجح بشكل كامل، لكن دعيها تحاول. اشتري لها ألعابًا كالمكعبات والقطارات، والدُّمى أيضًا، إن أرادت ذلك.

المقترح الرابع

احذري خطر ما أسمَيه "النسويّة المخفّفة". وهي فكرة مشروطة للمساواة بين الجنسين. أرجوكِ ارفضي ذلك تمامًا. هي فكرة جوفاء، مهدِّئة ومُفلسة. كونك نسويّة يشبه كونك حاملاً بطفل. إمّا أن تكوني حاملاً أو ألا تكوني كذلك. إمّا أن تكوني مؤمنة بالمساواة بين الرجل والمرأة، أو ألا تكوني كذلك.

النسويّة المخفّفة تَستخدم تشبيهات مثل "هو الرّأس وأنتِ العنق" أو "هو من يقود لكنّك تجلسين على المقعد الأمامي." فكرتُها هي أساس المشكلة، فالنسويّة المخفّفة تعني أنّ الرّجال متفوقون بشكل طبيعي، لكن يجب أن يُتوقّع منهم معاملة النساء بشكل جيّد. كلّا. كلّا. كلّا. فهنالك ما هو أهمّ من ذِكر محاسن الذّكور كأساس لسعادة المرأة.

النسويّة المخفّفة تستخدم لغة "السّمَاح"، وذلك حدث مع تريزا ماي، رئيسة الوزراء البريطانية، عندما وُصِفَ زوجها من قِبَل جريدة تقدميّة بريطانية كالتالي، "فيليب ماي عُرف كرجل سياسة قد اتخذ من الكرسي الخلفيّ مكاناً له، وسمح لزوجته، تريزا، أن تتألق."

"سمح."

والآن دعونا نعكس ذلك. سمحت تيريزا ماي لزوجها أن يتألق. هل يُعتبر ذلك منطقيًا؟ إن كان فيليب ماي رئيس الوزراء، قد نسمع أن زوجته "تدعمه" وهي في الكواليس، أو أنها "تقف وراءه،" أو أنها "وقفت إلى

جانبه"، لكننا لن نقول إنّها "سمحت" له أن يتألق.

كلمة "يسمح" تثير القلق. "يسمح" تدور حول معنى القوّة. قد تسمعين أحيانًا أعضاء النسويّة المخفّفة النيجيريّين يقولون، "دعوا المرأة وشأنها لتقوم بما ترغب به طالما أن زوجها يسمح لها بذلك".

الزَّوج ليس ناظر مدرسة. والزَّوجة ليست فتاة في مدرسة كي تُعطى الإذن أو يُسمح لها بفعل أمرٍ تُريده. لغة السَمَاح تلك التي تُستخدم من طرف واحد – وتقريبًا لا تُستخدم إلا بتلك الطريقة – لا يجب أن تكون لغة مستخدمة في الحياة الزوجيّة المشتركة.

مثال فظيع آخر حول النسويّة المخففة، "بالتأكيد يجب على الزَّوجة ألّا تقوم بالأعمال المنزلية على الدوام؛ فأنا قمت بالأعمال المنزلية عندما سافرَت زوجتي."

هل تذكُرين عندما ضحكنا وضحكنا منذ أعوام حول مقال كُتب بطريقة فظيعة عنّي؟ عندما اتّهمني ذلك الكاتب "بالغضب،" على الرغم من أن كَوني "غاضبة" كان أمرًا من المفترض أن يجعلني أشعر بالخجل. فبالتأكيد يجب أن أشعر بالغضب، أنا غاضبة بسبب العنصريَة. أنا غاضبة بسبب التمييز الجنسي. لكنّي مؤخّرًا توصّلت إلى قناعة، وهي أنّي أكثر غضبًا حول التمييز الجنسي من العنصريّة.

لأنه خلال غضبي حول التمييز الجنسي، أشعر بالوحدة في الغالب. لأنني أحبّ، وأعيش وسط كثيرٍ من الأشخاص الذين يستطيعون تمييز الظُّلم المتعلّق

بالعنصريّة لكن لا يميّزون الظُّلم المتعلّق بالتمييز الجنسي.
لا يمكنني إخباركِ عن المرّات التي أخبرني فيها أشخاص أهتمّ لأمرهم - رجالًا ونساءً - كيف أنّهم توقّعوا منّي أن أجعل من موقفٍ ما حالةً لتمييزٍ جنسيّ، كي "أثبت" وقوعها، إذا جاز التعبير، في حين أنهم لا يتوقعون مني ذلك عندما يتعلّق الأمر بالعنصرية. (من الواضح أنّه في هذا العالم الواسع، ثمّة كثير من البشر الذين ما زال يُتوقّع منهم "إثبات" وجود التفرقة العنصريّة، لكن لا يحدث ذلك في دائرة معارفي.) لا أستطيع أن أخبركِ عن عدد المرّات التي تجاهل أو استصغر فيها الأشخاص الذين أهتمّ لأمرهم مواقف تتعلّق بالتمييز الجنسي.
كصديقنا أيكنغا، هو سرعان ما يُنكر أيّ شيء له علاقة باضطهاد المرأة، فالاستماع لهذا الأمر لا يثير اهتمامه ولا يجذبه، ويحرص دائمًا على أن يوضح كيف أنّ المرأة، في الحقيقة، تحظى بامتيازات كثيرة. قال مرّة، "على الرغم من كون الفكرة العامّة هي أن والدي هو المسؤول عن منزلنا، فإنّ والدتي هي من كانت المسؤولة خلف الكواليس." اعتقدَ هو أنّه ينفي وجود التمييز الجنسي، لكنه بذلك يُثبت وجود هذه القضية المهمّة بالنسبة لي. لماذا قال" خلف الكواليس؟" إنْ كانت المرأة تمتلك قوّةً ما، فلمَ نحتاج إلى إخفاء حقيقة أنها تمتلك تلك القوّة إذًا؟

إليكِ هذه الحقيقة المُحزنة: عالمنا مليء بالرّجال والنساء الذين لا تُعجبهم المرأة القويّة. لقد نشأنا على فكرة أن القوَة أمرٌ خاصَ بالرّجال، وأنّ المرأة القوية هي منحرفة. لذلك يتمَ الترصّد لها. فنتساءل حول المرأة القويّة: هل هي متواضعة؟ هل تبتسم؟ هل هي ممتنّة بما يكفي؟ هل لديها جانب "منزليّ" في حياتها؟ أسئلة مثل هذه لا تُطرح حول الرجال الأقوياء، وهذا يوضح أن عدم ارتياحنا لا يتمحور حول السُلطة نفسها، بل حول المرأة. نحن نحاسب المرأة القوية بقسوة أكثر من الرّجل القوي. والنسوية المخفَفة تسمح بذلك.

المقترح الخامس

علّمي تيشزالوم أن تقرأ. علّميها محبّة الكتب. أفضل طريقة للقيام بذلك هو أن تكوني قدوة لها بشكل عفويّ. إن رأتكِ تقرئين، فسوف تفهم أن القراءة قيّمة. إن لم تذهب إلى المدرسة، واكتفت بقراءة الكتب، ستكون - كما يزعمون - أكثر معرفة من طفل تلقّى تعليمًا تقليديًا. الكتب ستساعدها على فهم العالم وطرح الأسئلة حوله، ستساعدها على التعبير عن نفسها، وعلى معرفة الذي تودّ أن تصبحه عندما تكبر - طاهية، أو عالمة، أو مغنية، إضافة إلى كل المهارات التي ستكتسبها من القراءة. لا أعني بذلك كتب المدرسة. بل أقصد الكتب التي ليس لها علاقة بالمدرسة، كتب السِيَر الذاتية والروايات وكتب التاريخ. إن لم تفلحي في ذلك، ادفَعي لها كي تقرأ. كافئيها. أعرفُ امرأة نيجيريّة رائعة، اسمها أنجيلا، وهي أمٌ عزباء قامت بتربية طفلتها في الولايات المتحدة؛ لم تجذب القراءة طفلتها فقرّرَت أن تدفع لابنتها خمسة سنتات ثمنًا لقراءة الصفحة الواحدة. قالت مازحة في النهاية إنّها محاولة باهظة الثمن، لكنّ القراءة استثمارٌ وَجيه.

علميها أن تتساءل حول اللغة. اللغة هي مخزن تعصّبنا، واعتقاداتنا، وافتراضاتنا. ومن أجل أن تُعلّميها ذلك، يجب عليكِ أن تتساءلي أنتِ حول لغتكِ الخاصّة. قالت لي صديقة مرّة إنها لن تنادي ابنتها بـ "أميرة." فالناس يقصدون ذلك حرفيًا عندما يستخدمون ذلك الوصف، لكن "أميرة" هي صِفَة محمّلة بافتراضات حول رقّة تلك الفتاة، والأمير الذي سيأتي لينقذها... إلخ. صديقتي هذه تفضّل استخدام ألقاب مثل "ملاك" و"نجمة".

لذا قرّري بنفسكِ الأشياء التي لا تودّين أن تقوليها لطفلتكِ، لأن ما ستقولينه لطفلتكِ سيكون ذا أهميّة. سيعلّمها كيف تقيّم نفسها. هل تعرفين نكتة الإيغبو تلك، التي تُستخدم لتأنيب الفتيات المتهوّرات، "ماذا تفعلين؟ ألا تعلمين أنك كبيرة بما يكفي لتعثري على زوج؟" كنتُ أستخدمها كثيرًا، لكنّي الآن اخترت الكفّ عن ذلك. أصبحتُ أقول "أنتِ كبيرة بما يكفي لتعثري على وظيفة،" لأنّي لا أعتقد أن الزواج هو أمر يجب علينا أن نُعلّم فتياتنا أن يطمحن إليه.

حاولي ألا تستخدمي كلمات مثل "اضطهاد النساء" و"سُلطة الرّجل" بكثرة مع تشيزالوم. قد نهتمّ نحن النسويات بتلك المصطلحات المستخدمة كثيرًا، فالمصطلحات في بعض الأحيان تجعلني شخصيًا أشعر أنّ معناها مختصَر. لا تصفي أمرًا ما على أنّه اضطهاد للمرأة فقط؛ بل اشرحي لها السبب، وأخبريها ما

الصحيح وكيف يمكن ألّا يكون ذلك الأمر اضطهادًا للمرأة.

علّميها أنها إذا قامت بنقد الفِعل **س** مثلاً والذي قامت به النساء، لكنها لم تنقد الفعل **س** عندما قام به الرجال، إذًا فمشكلتها ليست مع الفعل **س**، بل مشكلتها مع النساء. وفي خانة القيمة **س** يُرجى إدخال هذه الكلمات: الغضب؛ الطموح؛ البريق؛ الإصرار؛ البرود؛ القسوة.

علّميها أن تسأل أسئلة مثل: ما هي الأمور التي لا يمكن للنساء القيام بها لأنّهن نساء؟ هل لتلك الأمور اعتبار ثقافي؟ إذًا لمَ الرجال وحدهم مَن يُسمح لهم القيام بتلك الأمور ذات الاعتبار الثقافي؟

أعتقد أنه من المفيد استخدام الأمثلة اليوميّة. هل تذكرين ذلك الإعلان التلفزيوني الذي شاهدناه في لاغوس؟ عندما كان الرجل يطهو والمرأة تصفّق له؟ سيُعتبر ذلك تقدمًا حقيقيًا لو أنها لم تقم بالتصفيق له، بل عبرَت بردة فعل طبيعيّة عندما شاهدت الطعام – تستطيع مثلاً أن تمتدح الطعام أو ألّا تمتدحه، تماماً كما سيقوم هو بامتداح طهيها أو ألّا يمتدحه، لكن ما يُعتبر تمييزًا جنسيًا هو أنها تمتدح حقيقة أنّه قام بالطّهي. وامتداح ذلك يدلّ على أنّ الطهي في الأصل هو عمل أنثويّ.

أتذكرين تلك المرأة الميكانيكيّة في لاغوس والتي وُصفت على أنها "السيّدة ميكانيكي" في التصنيف في

تلك الجريدة؟ علَمي تشيزالوم أن المرأة من الممكن لها أن تصبح ميكانيكية، وليست "السيدة ميكانيكيَ."

أوضحي لها كم سيكون الأمر خاطئًا إن تعرّضَت لحادث مروري في لاغوس واصطدم بسيارتها رجل وخرج وطلب منها أن تُحضر زوجها لأنّه "لا يستطيع التفاهم مع النساء."

بدلاً من أن تخبريها ببساطة عن تلك الأمور، اجعليها ترى ذلك مع الأمثلة، أنّ اضطهاد النساء قد يكون في العلَن وفي الخفاء أيضًا، وفي كلا الحالتين هو أمر بغيض.

علّميها أنْ تتساءل حول الرجال الذين يشعرون بالتعاطف تجاه النساء اللاتي تربطهن بهم صلة قرابة، بدلًا من النّظر إليهن على أنّهن أشخاص متفرّدون مساوون لهم في الحقوق والواجبات. أولئك الرّجال عندما يخوضون نقاشًا حول الاغتصاب مثلًا، سيقولون دائماً شيئاً شبيهًا بـ "إن كانت ابنتي أو زوجتي أو أختي فـ..." لكن أولئك الرجال أنفسهم لا يحتاجون إلى تخيّل إخوتهم الذكور أو أبنائهم بدرجة التعاطف نفسها إن أصبح أحدهم ضحيّة لجريمة ما. علَميها أيضًا أن تتساءل عن فكرة كَون المرأة مخلوق من صِنف خاصّ.

سَمعتُ مرّة سياسيًا أمريكيًا، من خلال مزايداته لإظهار دعمه للمرأة، تحدّث عن أنّ المرأة يجب أن "تُبجَل" و"تُنصَر" وكُل تلك المشاعر التقليديّة جدًا.

أخبري تشيزالوم إن المرأة في الحقيقة لا تحتاج لأنْ تُنصَر وأن تُبجَل؛ هي فقط تحتاج منهم أن يعاملوها

كإنسان مساوٍ لهم. هنالك نبرةُ تَفَضُّلٍ خفيّة وراء تلك الفكرة التي تجعلهم يعتقدون أن النساء يحتجن لأنْ "يُنصَرن" و"يُبجَلن" فقط لأنهن نساء. يجعلني ذلك أفكر في مفهوم الشَهامة، شهامتهم تلك التي تقوم على ضعف الأنثى.

لا تتحدّثي عن الزواج على أنّه إنجاز في حدّ ذاته مُطلقًا. ابحثي عند طُرُق توضحي بها أنّ الزواج لا يُعتبر إنجازًا في حدّ ذاته، وليس هو الشيء الذي يشكّل طموحها. قد يكون الزواج سعيداً وقد يكون غير سعيد، لكنه لا يُعتبر إنجازًا.

نحن نربّي الفتيات على أن يكون طموحهن هو الزواج، لكنّنا لا نربّي الصّبيان على الشيء نفسه، لذا فهنالك خلَل رهيب منذ البداية. ستكبر الفتيات ليصبحن نساء مرتبطات بفكرة الزواج. سيكبر الصبيان ويغدون رجالاً لا يربطهم شيء بفكرة الزواج. ستتزوّج النساء أولئك الرجال. وستكون تلك العلاقة غير متكافئة بشكل تلقائي بسبب الاختلاف في النشأة بينهما. لا عجب في أن كثيرًا من حالات الزواج، النساء هنّ من يُضَحين أكثر، ويخسرن أنفسهن، لأنه يتوجّب عليهن الحفاظ على تلك الشراكة غير المتكافئة بينهما بشكل متواصل. وإحدى عواقب ذلك الخلل تكمُن في تلك الظاهرة المخزية والمألوفة جدًا، وهي عندما تتعارك امرأتان في العلن على رجل ما، ترى الرجل يلتزم الصمت.

خلال ترشّح هيلاري كلينتون للانتخابات الرئاسيّة في الولايات المتحدة الأمريكية، كان أوّل ما كتبته في حساب تويتر الخاصّ بها في خانة الصّفة هو أنها "زوجة". أمّا في حساب تويتر الخاصّ بزوجها بيل كلينتون فقد كتب في خانة الوصف أنّه "مؤسّس"

[لمؤسسة ما] ولم يكتب "زوج." (لذلك أمتلك تعاطفاً كبيراً تجاه الرجال القلائل الذين يستخدمون كلمة "زوج" في بداية التعريف بأنفسهم.) وممّا يثير الاستغراب أن تصنيفها لنفسها على أنها زوجة بتلك الطريقة لا يبدو غير اعتياديّ. في حين أنّ عدم تصنيفه لنفسه على أنّه زوج يبدو أمرًا طبيعيًا، لأنّ هذا هو المتعارف عليه؛ ما يزال عالمنا يُعطي قيمة أكبر لزواج المرأة ودورها الأموميّ أكثر من أيّ شيء آخر.

بعد زواجها ببيل كلينتون في عام 1975، احتفظت هيلاري كلينتون باسمها، هيلاري رودهام. في نهاية الأمر ألحقَت اسمه، كلينتون، باسمها، وبعد فترة قامت بإزالة اسم "رودهام" بسبب الضغوطات السياسيّة – لأن زوجها سيخسر المصوّتين الذين استاؤوا من احتفاظ زوجته بلقبها.

قراءتي ذلك جعلتني أفكّر في أنه – كما يبدو – ليس المصوّتون الأمريكيون فقط هم من يعيدون النساء إلى المقاييس الزوجيّة الرجعيّة التي يُريدونها. وقد واجهتُ ذلك عند استخدامي اسمي أيضًا.

هل تذكرين كيف أن صحفيًا قرّر من تلقاء نفسه أن يعطيني اسمًا جديدًا؟ "السيّدة. اسم عائلة الزوج" عندما علم أنّي متزوّجة، وكيف أنّي طلبت منه أن يتوقف لأن ذلك الاسم ليس لي. لن أستطيع أن أنسى العِداء الملتهب الذي واجهته من بعض النساء النيجيريات كردّة فعل على ذلك.

إنه أمر مثير للاهتمام أن يكون العداء الذي واجهتهُ بشكل عام كان من قِبَل النساء أكثر منه من الرجال، معظم أولئك أصرَرن على مناداتي باسمٍ ليس اسمي، وكأنهن يُرِدن إسكات صوتي.

تساءلت حول ذلك، وفكّرتُ في احتمالية أن يكون اختياري يمثل تحدٍّ لأفكارٍ يؤمن بها كثيرون، وتشكّل المعيار السائد. حتى أن بعض الأصدقاء علّق قائلًا، "أنت ناجحة، فلا ضير من الاحتفاظ باسمك". الأمر الذي دفعني للتساؤل: لمَ يجب أن تكون المرأة ناجحة في مقابل أن تحتفظ باسمها؟

الحقيقة هي أنّي لم أحتفظ باسمي لأنّي ناجحة. لنفترض أنّي لم أحظَ بفرصة للنّشر وأن تُقرَأ كتاباتي على نطاق واسع، لكنتُ احتفظتُ باسمي رغم ذلك. لقد احتفظتُ باسمي لأنه اسمي. احتفظت باسمي لأنّ اسمي يعجبني.

يقول بعض الأشخاص "حسناً، اسمك أيضا يقع تحت نطاق سلطة الرجل لأنك حصلت عليه من والدك". بالفعل، إن ذلك صحيح. لكن ما أقصده ببساطة هو: سواء حصلت على اسمي من والدي أو من القمر، فهو اسمي الذي حظيت به منذ أن كنت صغيرة، الاسم الذي رافقني في كل مراحل حياتي، الاسم الذي أجبتُ عندما نوديتُ به في أوّل يوم لي في رياض الأطفال، في ذلك اليوم الضبابيّ قالت لي مُدرّستي، " قولي "حاضرة" عندما تسمعين اسمك. رقم واحد: أديتشي!"

المهم في الأمر، أن كل امرأة يجب أن تمتلك الخيار في الاحتفاظ باسمها - لكن في الحقيقة هناك ضغط مجتمعيّ ساحق يدفع للتبعيّة. من الواضح أن هناك نساء يرغبن أن يُلحِقنَ أسماءهن بعوائل أزواجهن، لكن هناك نساء لا يرغبن بالتبعية تلك، فذلك يتطلَّب طاقة عقلية، وعاطفية، وحتى جسديّة. إن ذلك كثير جدًا. كم رجلًا من وجهة نظرك من الممكن أن يغيّروا أسماءهم إن قرّروا الزّواج؟ "مدام[1] Mrs" هو لقب لا يُعجبني لأنّ المجتمع النيجيري يُعطيه قيمة كبيرة جدًا. لاحظت هذا الأمر في كثير من الحالات لدى الرجال والنساء الذين يفخرون بالحديث عن لقب "مدام Mrs" وكأنّ الذين لا يمتلكون هذا اللقب فشلوا في تحقيق أمر ما. إنَ لقب "مدام Mrs" قد يكون خيارًا، لكن يا له من أمر مزعج أن تمنحه ثقافتنا تلك القيمة الكبيرة. القيمة التي نمنحها للَقب "مدام Mrs" تعني أنّ الزواج يغيّر الوضع الاجتماعيّ للمرأة، لكن ذلك لا يحدث للرجل. (ربما هذا هو السبب الذي يجعل كثيرًا من النساء يشتكين من أنّ الرجال المتزوجين ما زالوا "يتظاهرون" بأنهم عازبون؟ فربما لو طلَب المجتمع من الرّجال المتزوجين تغيير أسماءهم واختيار لقب جديد يختلف عن "السيّد Mr"، حينها قد يتغير تصرفهم كذلك؟ هه!) لنكن جادين أكثر، إن قُمتِ بين عشية وضحاها- أنتِ التي تبلغين من العمر الثامنة والعشرين وتحملين درجة الماجستير، بتغيير اسمك من "أيجَويلي[2] إيزي" إلى "مدام أوديغبونام"

فبالتأكيد سيتطلّب ذلك ليس طاقة ذهنيّة فقط، وتغيير جواز السّفر ورخصة القيادة، بل سيتطلب تغييرًا نفسيًا كذلك. إنّه "كيان" جديد، وموضوع هذا الكيان الجديد لن يشكّل أهمية كبيرة إن خضع الرّجل لتلك الشروط نفسها التي تخضع لها المرأة.

أنا أُفَضّل اللقب الذي لا يحدّد إن كانت المرأة متزوّجة أم لا، أحبّ لقب "السيّدة Ms" لأنه يُشبه اللقب الخاص بالرّجال "سيّد Mr" وهو يُستخدَم سواءً كان الرّجل متزوّجًا أم لا، فالمرأة أيضًا تُصبح "السيّدة Ms" سواءً كانت متزوّجة أم لا. ولذلك أرجوكِ، علّمي تشيزالوم أن في المجتمع الحقيقي العادل، لا يجب أن يُتوقّع من المرأة أن تتخذ قرارات تُغيّر حياتها بناء على قرار زواجها، ولا يُتوقّع من الرّجل أن يقوم بتلك التغييرات أيضًا. إليكِ حلاً ممتازًا: يختار الزّوجان اسمًا جديدًا تمامًا كلقب جديدٍ للعائلة، ولهم حريّة اختياره كما يشاءان طالما أنهما وافقا عليه معًا، ففي اليوم الذي يلي الزفاف، يُمسكُ الزوج والزوجة أيدي بعضهما ويذهبان بسعادة إلى مكاتب البلديّة لتغيير جوازات سفرهما، ورُخَص القيادة، وتوقيعَيهما، الأحرف الأولى لاسمَيهما، وحسابات البنوك... إلخ.

---

(1) مدام، هو لقب تشريفي يأتي بمعنى "السيّدة"، وهي كلمة فرنسية الأصل. يختصّ هذا اللقب بالنساء المُتزوّجات. ارتأينا أنّ استخدامه هنا هو أدقّ من استخدام لقب "السيّدة" كَون الأخير لا

يختصّ بالمتزوّجات. المحرّر.

(2). اسم نيجيري صعب النّطق، ومعناه: الرّحلة ذات النهاية السّعيدة. ارتأينا استبدال اسم "أيجَويلي" في عنوان الكتاب باسم "هاجَر" من باب مناسبة الحال. م.

علَميها أن إعجاب الآخرين بها لا يشكّل أيّ أهميّة، وأن الاهتمام الكبير بهذا الموضوع مرفوضٌ تمامًا. ليست الغاية من وظيفتها هو أن يُعجب بها الآخرون، بل هو تحقيق ذاتها، ذاتها الصادقة والواعية للمساواة البشرية مع الآخرين. هل تذكرين عندما أخبرتك كيف يزعجني أن صديقتنا تشيوما غالبًا ما تقول لي إنّ "الناس" لن "يعجبهم" شيء ممّا أرغب في قوله أو عمله؟ إنّها تُشعرني دائمًا أنّها تضغط عليّ بصمتٍ كي أغيّر من نفسي لأتطابق مع قالب محدود، من أجل إسعاد كيان مبهم يسمّى "الناس". لقد كان ذلك مزعجًا لأننا نريد أن يكون أولئك المقرّبون منّا مصدر تشجيع لنا كي نكون صادقين مع أنفسنا. أرجوكِ، لا تجعلي ابنتك تعاني من هذا الضغط. نحن نعلّم الفتيات أن يكنَّ محبوبات، لطيفات، وأنّهن الخاطئات دومًا. لكننا لا نُعلّم الصبيان أن يكونوا كذلك. إنّ ذلك خطير. استغلَ كثير من الذئاب المفترسة البشريّة هذا الأمر جنسيًا، وآثر كثير من الفتيات الصّمت عند تعرّضهن للإساءة لأنهن فضّلن أن يبقين لطيفات. تقضي كثير من الفتيات وقتاً طويلة لمحاولة أن يصبحن "لطيفات" مع أشخاص ألحقوا بهن الأذى. تفكّر كثير من الفتيات "بمشاعر" أولئك الذين يُلحقون بهن الأذى ويجرحونهن. تلك هي إحدى العواقب المأساوية التي قد تحدث إن أولَت الفتيات أهميّة كُبرى لأن يكنّ لطيفات ومحبوبات. لدينا عالم

مليء بنساء لا يمتلكن القدرة على التنفّس بسبب اشتراط المجتمع لهن أن يطوين أنفسهن ويُشكلَنها بأشكال معيّنة تجعل منهن محبوبات.

لذلك، بدلاً من أن تعلمي تشيزالوم كيف لها أن تكون محبوبة، علّميها أن تكون صادقة، وطيّبة، وشُجاعة. شجّعيها أن تعبّر عن رأيها، أن تقول رأيها الحقيقي، أن تتحدّث بصدق. واثني عليها إن قامت بذلك. اثني عليها خاصّة عندما تتخذ خطوة صعبة أو غير مسبوقة لأن ذلك هو موقفها الحقيقي. أخبريها أن حُسن الأخلاق مُهمّ. اثني عليها إن عاملت الأشخاص الآخرين بحسن خُلُق. لكن علّميها ألّا يستغلّ أحدٌ حُسن خلقها وأن يأخذه كأمر مسلّم به. قولي لها إنها هي كذلك، تستحق أن تُعامَل بِحُسن خُلُق. علّميها أن تدافع عمّا يخصّها. فإن أخذ طفل آخر لعبتها من غير إذنها، فاطلبي منها أن تستردّها، لأن موافقتها مهمّة. قولي لها إن شَعَرَتْ بعدم الارتياح من أيّ أمر كان، فعليها أن ترفع صوتها، وتتحدّث، وتصرخ.

يجب عليكِ أن تُريها كيف أنه ليس من الضروري أن تكون من محبوبة من قِبل الجميع. أخبريها إنها إن لم تكن محبوبة من قِبل شخص ما، فإنها ستكون محبوبة من قبل شخص آخر. علّميها أنها ليست مجرّد جماد يُعجَب به الآخرون أو لا يعجبون به، هي أهمّ من ذلك، هي موضوع قد يُثير الإعجاب وقد لا يُعجِب أحدًا. إن جاءت باكية وهي في سن المراهقة، وأخبرَتك إنّ بعض

الصبيان ليسوا معجبين بها، أخبريها إنها هي التي يجب أن تَختار وليس أولئك الصبيان - نعم، إن هذا صعب، أعلم ذلك، هل تذكرين نامادي؟ الشاب الذي كُنتُ معجبة به في المدرسة الثانوية.

تمنّيت لو أخبرني أحد بهذا الأمر آنذاك.

المقترح التاسع

امنحي تشيزالوم إحساسًا بهويّتها. إن ذلك مهمّ. قومي بذلك بتصميم وإصرار. لتجعليها تكبر وهي مؤمنة بأنها متفرّدة عن الآخرين، وهي امرأة من الإيغبو وفخورة بنفسها. ويجب أن تكوني انتقائية في تعليمها ذلك - علّميها أن تُظهر جانب الإيغبو الثقافي الجميل وعلميها أن ترفض الجانب السيء. بإمكانك أن تقولي لها بسياقات وطرق مختلفة، "ثقافة الإيغبو جميلة لأنها تُقدّر القيمة المجتمعيّة وتقارُب الأفراد وتقدّر العمل الجاد، إضافة إلى جمال اللغة والأمثال الغنيّة بحِكَم عظيمة. لكن ثقافة الإيغبو كذلك تعلّم المرأة أنها لا تستطيع أن تقوم ببعض الأعمال لأنها فقط امرأة. وهذا خاطئ. تركّز ثقافة الإيغبو كذلك بشكل كبير نوعًا ما على الماديّات، إن المال أمر مهم بالتأكيد - لأن المال يعني الاعتماد على النّفس - لكن يجب ألّا نقيّم الناس بناءً على امتلاكهم المال من عدمه."

يجب أن تُريها الجمال الأفريقي الخالد، وثبات الأفارقة والشّعب الأسود. أتعرفين لماذا؟ لأنها وبسبب النفوذ والسّلطة في العالم، سترى نماذج من الجمال الأبيض عندما تكبر: قدرات بيضاء، وإنجازات بيضاء، بغضّ النّظر عن المكان الذي تذهب إليه ابنتك في العالم، فتلك الأمور ستظهر في برامج التلفاز التي تشاهدها، وفي الثقافة الشعبية التي ستتعاطاها، وفي الكتب التي ستقرأها. وقد تكبر وهي ترى نماذج سلبيّة كثيرة عن

السّود والأفارقة.

علّميها أن تفخر بتاريخ الأفارقة والسّود المشتّتين في العالم. حاولي أن تجدي أبطالاً سُود في التاريخ من الرّجال والنساء. إنهم موجودون بالفعل. قد تحتاجين لأن تقفي ضد بعض الأمور التي ستتعلّمها في المدرسة – لا تُسهم المناهج النيجيريّة في تعليم الأطفال الشعور بالفخر بثقافتهم. لذلك فأساتذتها سيبذلون جهدًا رائعًا في تعليمها الرياضيات والعلوم والفن والموسيقى، لكن عليكِ تعليمها الفخر بثقافتها بنفسكِ.

علّميها عن نظريّة الامتياز وعدم المساواة الاجتماعية، وعن أهميّة أن تَمنح الكرامة لكلّ من لا ينوي بها الأذى – علّميها أن العاملة المنزلية هي بَشَر مثلها. علّميها أن تُحَيّي السّائق دائمًا. اربطي تلك الآمال التي تريدينها لها بهويّتها – على سبيل المثال، قولي لها، "في عائلتنا، عندما كنتِ صغيرة، كنت تحيّين أولئك الأشخاص الأكبر منك سنًا مهما كانت الوظائف التي يشغلونها".

أعطِها لقب إيغبو خاصًا بها. خلال نشأتي، كانت خالتي جلاديس تناديني آدا أودو ديكي. أحببتُ ذلك جدًا. من الواضح أن قريتي "إيزي أبَا" تُسمَى بأرض المحاربين، وقد كان لقب خالتي ذاك يعني "ابنة أرض المحاربين" وجعلني أشعر بنشوة لذيذة.

كوني متأنية عندما تتعاملين معها ومع مظهرها.

شجّعيها على المشاركة في النشاطات الرياضية. علّميها أن تكون نشيطة بدنياً. مارسي رياضة المشي معها، والسّباحة، والجري، وكُرة المضرب، وكرة القدم، وكُرة الطاولة... أيّ نوع من أنواع الرياضة. أعتقد أن ذلك مُهمّ ليس فقط من أجل الفوائد الصحيّة الواضحة، لكن من أجل المساعدة في حلَ جميع مشاكل القلق حول صورة الجسد التي تواجهها الفتيات. يجب أن تُعلَمي تشيزالوم أن هناك قيمة كبيرة للنّشاط الجسديّ. أظهرت الدراسات أن الفتيات يتوقّفن عن ممارسة الرياضة عند بلوغهن. وهو أمر ليس مستغربًا. فبروز النّهدين والخجل من ذاتهن قد يقف في طريق ممارسة الرياضة – تَوقفتُ عن لعب كرة القدم في بداية بروز نهديّ، وكل ما كنت أودَ القيام به هو أن أخبّئ وجودهما. الجري والعرقلة لم يساعداني في ذلك. أرجوك لا تدعي هذا الأمر وغيره يقف في طريق التزامها بالتريُّض.

إن كانت تحبّ أن تضع مساحيق التجميل، فاسمحي لها أن تستخدمها. إن كانت تحبّ الأزياء، فاسمحي لها أن تتأنّق. لكن إن كانت لا تحبّ أيًا من الأمرين، فدعيها وشأنها. لا تعتقدي أنّك إذا قمت بتنشئتها لتصبح نسويَة فهذا يعني أنّ عليها رفض الجانب الأنثويّ فيها. النسويَة والأنوثة لا يتعارضان. والإشارة إلى هذا الأمر تُعتبر معاداة للمرأة. يا له من أمر مُحزن أن المرأة قد تعلّمت

أن تخجل وأن تبرّر الأمور الأنثويّة التقليديّة، كالأزياء ومساحيق التجميل مثلاً. لكن المجتمع لا يتوقّع من الرجل أن يخجل من الأمور التي تُعتبر بشكل عام أمورًا ذكوريّة - السيارات الرياضية، وبعض الرياضات الاحترافيّة. وبالطريقة نفسها إن اهتمّ الرجل بشكله وتَزَيّنَ فإنه يُصبح رجلا أنيقًا وحسب، دون أن تشكّل أيّة أهمية له أن يواجِه توقّعات معيّنة قد تشكّك في ذكائه وقدراته أو جديّته بسبب تلك الأناقة.

في الجهة الأخرى، تتوخّى المرأة دائماً الحذر من أحمر الشفاه البرّاق، أو أن الزيّ الذي اختارته بعناية قد يغدو سببًا جيّدًا في جعل الآخرين يفترضون أنّها تافهة.

إيّاكِ أن تربطي مظهر تشيزالوم بأخلاقها. إيّاكِ أن تخبريها أنّ ارتداء التنّورة القصيرة هو أمر "غير أخلاقي". اربطي الملبس بالذّائقة والجاذبيّة بدلاً من الأخلاق. إنْ تعاركتما بشأن ما تودّ هي ارتداءه، إيّاك أن تقولي لها "تبدين وكأنّك عاهرة". أعتقد أنّ والدتك قالت لكِ ذلك مرّةً من قبل. بدلاً من ذلك، قولي لها، "إن هذا الفستان ليس جميلاً عليكِ كالفستان الآخر،" أو أنّه لا يناسبها، أو لا يبدو جذّابًا عليها، أو ببساطة إنه قبيح. لكن إيّاكِ أن تشيري إلى اختيارها أنّه "غير أخلاقي،" لأن الملابس ليس لها علاقة إطلاقًا بالأخلاق.

حاولي ألّا تربطي شعرها بقسوةٍ تُسبّب لها الألم. إن ذلك يذكّرني بطفولتي وكيف أنني في معظم الأحيان كنت أبكي عندما كان شعري الكثيف الطويل يُضفَر. أذكر

كيف كانت علبة حلوى "السمارتيز" توضع أمامي كمُكافأة لي إذا جلستُ لتصفيف شعري. ولمَ ذاك كلّه؟ تخيّلي لو أننا لم نمض أوقاتًا كثيرة من أيّام السبتِ في طفولتنا ومراهقتنا ونحن نصفّف شعرنا. ما الذي كان من الممكن أن نتعلمه خلال كلّ ذلك الوقت؟ وبأيّة طريقة كنّا سنكبُر؟ ما الذي كان يفعله الصّبيان في أيّام السّبت؟

لذلك، بالنسبة لشعرها، أقترح أن تُعيدي تعريف كلمة "أناقة". إنَ السَبب وراء ارتباط الشَعر بالألم لدى كثير من الفتيات هو تصميمنا نحن الكبار واتفاقنا على نسخة واحدة من "الأناقة،" وذلك يعني شدٌ شديدٌ وتدميرٌ لفروة الرأس والتسبّب بالصداع.

علينا أن نتوقف. رأيت فتيات في مَدرسة نيجيرية يتعرضن للمضايقات بسبب انعدام "أناقةِ" شعرهن، ولمجرَد أن الفتاة الصغيرة شدَت شعرها المجعَد الذي وهبها الله إيَاه على شكل كُرات صغيرة رائعة فوق صَدغيها. اسمحي لتشيزالوم أن تَفُكّ شعرها – وأن تصفّفه على شكل ضفائر كبيرة أو جدائل مقسّمة من جهة فروة الرأس، ولا تستخدمي معها المشط ذا الأسنان الصَغيرة الذي لم يُصمّم ليلائم نوعية شعرنا.

واعملي على أن يصل تعريفك لمفهوم "الأناقة" الخاص بكِ إلى مَدرستها، وتحدّثي إلى الإدارة إن اضطرَكِ الأمر. التغيير لا يتطلَب سوى شخص واحدِ فقط لجعله يحدث.

ستلاحظ تشيزالوم وفي وقت مبكّر جدًا من عمرها – لأن الأطفال فطنون – ما هو نوع الجمال الذي يُقدَره الأغلبية في العالم. ستراه في المجلّات والأفلام والتلفاز. سترى أن اللون الأبيض يحظى بالتقدير. وستلاحظ أن نوع الشعر الذي يحظى بالتقدير هو النّاعم أو المتماوج، أنّ الشّعر المنسَدِل هو الذي يحظى بالتقدير وليس النّافِر. ستواجه ذلك سواءً أعجبك الأمر أم لا. لذلك يجب أن تتأكدي من أن تخلقي لها بديلاً. أعلميها أن النساء النحيلات البيضاوات جميلات، والنساء اللاتي لسن بنحيلات، ولسن ببيضاوات، جميلات أيضًا. أعلميها أن هناك أمثلة كثيرة مختلفة ومتفرّدة، وثقافات كثيرة، قد لا تتلاءم مع تعريف الأغلبيّة للجمال الجذّاب كما هو متعارف عليه. أنتِ أفضل من يعرف طبيعة ابنتك، لذلك ستعرفين بطريقة أفضل كيف تعزّزين فكرتها الخاصّة عن الجمال، وكيف تحمينها من النظر إلى انعكاس صورتها باستياء.

أحيطيها بقَرية من الخالات، نساءٍ يحملنَ صفاتٍ تودّين أن تُعجَب ابنتك بها. تحدّثي معها حول إعجابك الكبير بهن. يُقلّدُ الأطفال تلك الأمثلة ويتعلّمون منها. تحدّثي معها حول الذي يُعجبك من صفاتهن. أنا، على سبيل المثال، معجبة تحديدًا بفلورينس كينيدي "Florynce Kennedy"، النّسويّة الأمريكية الأفريقيَة. إليكِ أسماء بعض النساء الأفريقيّات اللواتي أودّ أن أخبرها عنهن: أما أتا أيدوو "Ama Ata Aidoo"، دورا أكونيلي

"Dora Akunyili"، موتوني ليكيماني "Muthoni Likimani"، نقوزي أوكونقوإيَوالا "Ngozi Okonjo-Iweala"، وتايو أجاي ليسيت "Taiwo Ajai-Lycett".
ثمّة كثير من النساء الأفريقيات اللاتي يشكلن مصدراً للإلهام النسويّ بسبب ما قُمن به وما رفضن القيام به. مثل جدّتك، على فكرة، تلك المرأة الرائعة القويّة ذات اللسان اللاذع.

أحيطي تشيزالوم، كذلك، بِقَرية من الأعمام. سيكون ذلك أصعب، فعلينا انتقاء فقط بعضَ أصدقاء تشودي. لم أنس ذلك الرّجل المتذمّر ذو اللحية المحدّدة بعناية الذي أخذ يردّد في عيد ميلاد تشودي "لن تُملي عليّ أيّ امرأة أتزوجها ما الذي يجب عليّ فعله!"

لذلك، أرجو منكِ أن تجدي رجالاً ليسوا متذمرين. رجالًا كأخيك أغومبا، رجالًا مثل صديقنا تشيناكويزي. لأنّ الحقيقة هي أنها ستواجه كثيرًا من تذمّر الرّجال في حياتها. لذلك فمن الجيّد أن ترى البدائل الأفضل في سِنّ مبكّرة.

لا أستطيع أن أبالغ أكثر في توضيح قوّة تلك البدائل. إن كانت إحاطتها ببدائل صحيحة ومألوفة بالنسبة لها سيجعلها قادرة على مقاومة أفكار "أدوار الجنسين" الثابتة، فليكن. وإن كانت تعرف عمًّا لها يُجيد الطّهي – ويقوم بذلك من دون أن يوليه أهميّة كُبرى – حينها ستستطيع أن تبتسم وتزيح غباءَ أحد الذين ادّعوا أنّ "الطّهي هو من اختصاص المرأة".

علّميها أن تتساءل حول سبب اختيار ثقافتنا لعِلم الأحياء كأحد "أسباب" وضع المعايير الاجتماعيّة. أعرفُ امرأةً من شعب اليوروبا، تزوّجت برجل من شعب الإيغبو، وكانت حاملاً بطفلها الأوّل وتفكّر في أسماء مبدئيّة للطفل. كل الأسماء التي اختارتها كانت أسماء من ثقافة شعب الإيغبو.

فتساءلْت، ألا يجب أن تكون الأسماء المطروحة للطفل أسماء من ثقافة شعب يوروبا، بما أنهم سيحملون عائلة والدهم الإيغبويّ؟ فقالت لي، "إن انتماء الأبناء الأوّل إلى آبائهم، هكذا يجب أن تجري الأمور."

نستخدم علم الأحياء في العادة لنبرّر الامتيازات التي يحصل عليها الرجال. إن الرّجال أقوى جسديًا بشكل عام. لكن إن اعتمدنا بشكل كُليّ على علم الأحياء كأساس للمعايير الاجتماعية، فسيحمل الأطفال أسماء أمّهاتهم بدلًا من آبائهم لأن الطفل عندما يولد، فإن الطرف الذي لا شكّ فيه بيولوجيًا هو بالتأكيد الأم. الأم هي من تُخبرنا عن هويّة الأب، فنصدّقها في ذلك. أتساءل هنا، كم من الأنساب في مختلف أنحاء العالم هي في الحقيقة، بيولوجيًا، غير صحيحة؟

بالنسبة لكثيرٍ من نساء الإيغبو، فإن انتماء الأبناء إلى الأب هو أمر مفروغٌ منه. أعرف نساء خرجن من زيجات سيئة ولم "يُسمح" لهن أن يأخذن أطفالهن معهن أو حتى أن يروا الأطفال، لأنهم ينتمون إلى الرّجُل.

نحن نستخدم علم الأحياء التطوّري لنبرّر ممارسة الذكور للجنس غير الشرعيّ، لكننا لا نستخدمه لتبرير ممارسة الأنثى للجنس غير الشرعي. على الرغم من أن الأمر في الحقيقة يحمل منطقًا تطوّريًا أن يكون للمرأة أكثر من شريك في ممارسة الجنس – فكلَما زادت تجمُعية الجينات، زاد التنوّع الوراثي للنسل! فإنّه لا يصحّ البتّة.

لذلك، علّمي تشيزالوم أن علم الأحياء هو موضوع مثير للاهتمام ورائع، لكن يجب عليها ألا تقبل استخدامه كمبرّر لأي قاعدة اجتماعية. لأن القواعد الاجتماعية هي من صُنع البشر، ولا توجد قاعدة اجتماعيّة يستحيل تغييرها.

تحدّثي معها عن الجنس، وابدئي بذلك الحديث باكرًا. قد يكون الأمر غريبًا قليلاً، لكنّه ضروري بما لا يُقاس. هل تذكرين تلك الندوة التي ذهبنا إليها عندما كنّا في الصفّ الثالث؟ أعتقد أنه كان من المفترض أن يتمّ تعليمنا حول "النّشاط الجنسي" وليس أن نستمع إلى حديث مُبهَم أشبه بالتهديد حول كيف سيجعلنا "الحديث إلى الصبيان" أن نحمل، وعندها سيلحق بنا العار؟ أتذكّر العار الذي كان يملأ الندوة والقاعة. عارٌ قبيح. إنّه صِنفُ العارِ نفسه المتعلّق بكوننا إناثًا. وأتمنى ألّا تواجهه ابنتك.

عندما تتحدثين إليها، لا تتظاهري بأن الجنس هو مجرّد فعل محدود يختصّ بالتكاثر، أو أنه فِعل لا يقوم به سوى "المتزوّجين"، لأن ذلك يُعتبر خداعًا (لقد مارستما أنت وتشودي الجنس قبل زواجكما بفترة طويلة، ومن المحتمل أنها ستعرف ذلك عند بلوغها الثانية عشر.) أخبريها إنّ الجنس قد يكون أمرًا جميلًا، بغض النظر عن عواقبه الجسمانيّة الواضحة (بالنسبة لها كامرأة!)، وقد يكون له كذلك عواقب عاطفيّة. أخبريها إنّ جسدها هو ملكٌ لها، ولها وحدها، كي لا تشعر أنّه يجب عليها الموافقة على فعل شيء هي لا ترغب به، أو أن تشعر بالضّغط للقيام به. علّميها أنّ قَول كلمة "لا" عندما تشعر هي بضرورة استخدامها يُعتبر مدعاة للفخر.

قولي لها إنّك تعتقدين أنه من الأفضل لها أن تنتظر

حتى تكبر إن أرادت الدخول إلى عالم الجنس. لكن كوني مستعدَة، لأنها قد لا تنتظر حتى تصل إلى سنّ الثامنة عشرة. وإن قرّرت عدم الانتظار فيجب عليك أن تتأكدي من أنها تستطيع الاعتراف لك بأنّها لم تنتظر.

ليس من السهل أن تقولي إنّك تودّين تربية فتاة تستطيع إخبارك بكل شيء؛ يجب أن تعلّميها لغةً تتحدَث بها معك. وأنا أقصد ذلك حرفيًا. ماذا عليها أن تسمَي ذلك الشيء؟ ما هي الكلمة التي يتوجّب عليها استخدامها؟

عندما كنث طفلة أتذكّر أن الناس كانوا يستخدمون كلمة "أيكي" للدلالة على "الشَرج" و"المهبل"؛ لكن "الشرج" هو الأولى بالمعنى، ما تَرَكَ كل الأمور مبهمة، ولم أكن أعرف كيف أعبّر، على سبيل المثال، عن أنّي أشعر بالحكّة في مهبلي.

يقول معظم خبراء تطوّر الطفولة إنه من الأفضل أن يَعرف الأطفال أسماء الأعضاء التناسلية بأسمائها البيولوجية - المهبل والقضيب. وأنا أؤيد ذلك، لكنّه قرار وعليك التفكير في اتخاذه. يجب عليك أن تقرري الاسم الذي ترغبين أن تستخدمه ابنتك لتسمية الأعضاء، لكن ما يهمّ في الموضوع هو أن يكون هناك اسم مستخدم، ولا يمكن أن يُثقَل ذلك الاسم بالعار.

وحتى تتأكدي أنها لن تكتسب منك فكرة العار، عليك أن تحرّري نفسك من فكرة العار الخاصة بكِ والتي ورثتيها. أعلَمُ كيف سيكون ذلك شديد الصعوبة عليكِ. في كل

ثقافات العالم، الجنس يعتبر عار بالنسبة للأنثى. حتى الثقافات التي تتقبّل أن تكون المرأة جذّابة – ككثير منها في الغرب – ما زالت لا تتقبّل أن يكون للمرأة نشاط جنسيَ معبّر عنه.

إن العار الذي نربطه بالنشاط الجنسيّ الخاص بالأنثى هدفه هو التحكّم بها. تتحكّم كثير من الثقافات والديانات بجسد المرأة بطريقة أو بأخرى. إن كان التحكّم بأجساد النساء هو لسبب آخر يتعلَق بالنساء أنفسهن، فإن ذلك سيكون مفهومًا. على سبيل المثال، إن كان السّبب في أن "النساء يجب ألّا يرتدين التنانير القصيرة" هو أنّهن قد "يُصَبن بالسرطان إن فعلن ذلك،" فذلك مفهوم، بدلاً من أن يكون السّبب لا يتعلّق بالمرأة نفسها بل بالرّجال أنفسهم. لماذا على النساء "تغطية" أنفسهن لحماية الرجال؟ إنّي أجد تلك الفكرة مُهينة للكرامة الإنسانيّة بشدَة، لأن ذلك يحطَ من قَدر المرأة ويحوّلها إلى مجرّد دعامة من أجل التحكّم بشهوة الرجل.

وبما أننا نتحدث عن العار، فلا تربطي الجنس بالعار مطلقاً. أو العُري بالعار. ولا تركّزي على "العُذرية" مُطلقًا. كلّ حوار حول العذريّة سيتحوّل إلى حوار حول العار. علّميها رفض أن يتم الرّبط بين العار والبيولوجيا الأنثويّة. لماذا رُبّينا على أن نتحدث بصوت منخفض عندما يتعلّق الأمر بالدورة الشهرية؟ ويملؤنا العار إن حدث وتلوّثت تنانيرنا بدم الحيض؟ إنّ الدورة الشهريّة

أمرٌ لا يجلب العار. الدورة الشهرية هي أمر اعتيادي وطبيعي، والجنس البشري لن يكون له وجود لولا تلك الدورات الشهريّة! أذكر مرّةً أنَ رجلاً قال إنَ الدورة الشهرية هي أشبه بالغائط. قلت له، حسناً، هي غائط مقدَس، لأن ذلك الشخص نفسه لن يكون موجوداً هنا إن لم تحدث تلك الدورات الشهرية.

ستكون هناك علاقات غرامية، فكوني مستعدة.
أنا أكتب هذا افتراضًا منّي أنّها متباينة الجنس – أو قد لا تكون كذلك، كما أوضَحت. لكني افترضث ذلك لأنّ هذا هو ما أشعر أنّي أُجيد الحديث عنه.
تأكّدي من أن تكوني على علم بالعلاقات الغرامية في حياتها. والطريقة الوحيدة للقيام بذلك هو أن تبدئي معها منذ وقت مبكر بتعليمها اللغة التي تستطيع استخدامها معك، ليس فقط حول الجنس، وحول الحب كذلك.
لا أقصد بذلك أنه يجب عليك أن تكوني "صديقة" لها؛ أنا أقصد أنه يجب عليك أن تكوني أمًّا تستطيع هي أن تتحدث معها كل يوم.
علّميها أن الحب هو ليس أن تعطي فقط، بل وأن تأخذ كذلك. من المهمَ أن نقول لهن هذا الأمر، لأننا نُشير لهنَّ بغموض حول ما يجب أن يحدث في حياتهن – نُعلّم الفتاة أن الجانب الأكبر من مقدرتها على الحبّ هو قدرتها على التّضحية بنفسها. ولا نعلّم ذلك للصّبي. علّميها أنها عندما تُحبّ فيجب عليها أن تمنح نفسها عاطفيًا، لكن يجب عليها أن تتوقّع أن توهَب الحبّ بالمثل أيضًا.
أعتقد أن الحب هو من أهم الأشياء في الحياة. أيًا يكن، وصنّفي ذلك بأيّ طريقة شئتِ، إنّي أعتقد بشكل عام أن الحبّ يعني أن يتم تقديرها هي بشكل كبير من قِبل

إنسان آخر، وأن تُقدِّر هي إنساناً ما بشكل كبير. لكن لمَ نربّي نصف العالم فقط على تقدير ذلك؟ تواجَدتُ مؤخرًا في غرفة مليئة بنساء شابّات وأدهشني كيف أن الحوارات كلها كانت عن الرجال - وكيف أن الرجال قاموا بأذيتهن بشكل فظيع، فهذا الرجل خان، وذاك الرّجل كَذَب، وآخرَ وعد بالزواج ثم اختفى، وآخرَ فعل كذا وكذا.

ثمَ أدركتُ، للأسف، أن العكس ليس بصحيح. فغرفة مليئة بالرَجال لن ينتهي بهم الأمر إلى الحديث حول النساء بشكل متواصل - حتى وإن فعلوا، فسيكون الأمر أشبه بثرثرة وقحة وليس كأنها رثاءٌ للحياة. لماذا؟ ذلك يعود، كما أعتقد، إلى التنشئة المبكّرة. خلال مراسم تعميدٍ لطفلة حضرتُها مؤخرًا، طُلب من الضيوف أن يكتبوا الأمنيات التي يتمنونها للطفلة الصغيرة. كتب أحد الضيوف "أتمنى لها أن تجد زوجًا صالحًا." كانت النيَة طيبة تجاه الطفلة، لكنها قد تُسبب لها كثيرًا من الأذى. لقد قيل لطفلة بلغت للتوَ الشهر الثالث من عمرها أنها يجب أن تطمح للحصول على زوج. لنفترض أن المراسم كانت لصبيٍ صغير، لن يطرأ على بال أحد من الضيوف أن يتمنى له أن يجد "زوجة صالحة."

وبما أننا نتحدث عن النساء اللاتي يتذمرن حول الرجال الذين "وعدوا" بالزواج ثم تلاشوا - أليس من الغريب أن السائد في معظم المجتمعات في العالم الآن، هو أن النساء لا يمكن لهن أن يتقدّمن بطلب الزواج؟ الزواج

يُعتبر خطوة مهمَة في حياتك، لكّنك حتى الآن لا تستطيعين أن تكوني مسؤولة عنها، لأن ذلك يعتمد على الرّجل، هو الذي يجب عليه أن يتّخذ الخطوة ويطلب منك الزّواج. لذلك، كثيرٌ من النساء هنَ طرف في علاقات طويلة المدى ويرغبن في الزواج، لكن يجب عليهن الانتظار ليتقدّم لهن الرّجل، وهذا الانتظار غالبًا ما يجعل المرأة تُمثّل، أحيانًا بوعي وأحيانًا أخرى دون وعي لاحتماليّة حدوث هذا الزواج. إنْ طبّقنا الأداة الأولى للنسويّة هنا، فلن يكون من المنطقيّ بالنسبة للمرأة التي تمتلك حقوقًا مساوية لأن تنتظر الرّجل أن يبادر في أمرٍ يُعتبر خطوة تغيير كبيرة بالنسبة إليها.

قالت لي مرّة نَصيرةٌ للنسويّة المخفّفة، إنّ واقع المجتمع الذي يتوقّع من الرّجل أن يتقدّم لخطبة المرأة يُثبت أنّ المرأة تمتلك القوّة، لأن الزواج لن يحدث إلا إذا وافقت المرأة. إليكِ الحقيقة – الشخص الذي يتقدّم للخطبة هو الذي يمتلك القوة الحقيقية. فقبل أن تُجيبي بنعم أو لا، يجب أن تُطلَبي للزواج أوَلاً. أتمنى لتشيزالوم عالمًا يستطيع فيه أيّ طرف في العلاقة أن يتقدّم للخطبة، بحيث تُصبح تلك العلاقة مُريحة، تملؤها البهجة، وسيكون الحوار حول الزواج مفعمًا بالبهجة، سواءً تمّ الشروع فيه أم لا.

أود أن أقول شيئاً متعلقاً بالمال هنا. علّميها ألّا تقول أمورًا حمقاء مثل "مالي هو مالي وماله هو مالنا." إنّ ذلك وَضيع، وخطير – تصرّفها بتلك الطريقة يعني أنها

قد تتقبَل أفكارًا سيئة أخرى كذلك. علّميها أن تأمين المعيشة **ليس** من وظيفة الرّجل. في العلاقة الصحيحة، تأمين المعيشة هو دور مَن يستطيع من كِلا الطرفين تأمينها.

المقترح الرابع عشر

عندما تطرحين عليها موضوع الاضطهاد، احذري من أن توحي لها بأن المضطَهَدين يخلون من العيوب ومثاليّون. فالمثاليّة ليست شرطًا أساسيًا للاحترام واستحقاق الحقوق الإنسانيّة. إنّ القُساة والمخادعين بشرٌ في النهاية، ولهم كرامتهم. حقوق تملّك الأراضي بالنسبة للنساء الريفيّات في نيجيريا، على سبيل المثال، هو موضوع جنوسيّ[3] مهمّ، والمرأة يجب ألّا تحتاج لأن تكون طيّبة وملائكيّة كي تُمنح حقّ التملُّك ذاك. أحيانًا، عند الحديث حول التمييز الجنسي، يُفترض أن النساء هن "أفضل" أخلاقيًا من الرجال. لكنهن لسن كذلك. فالنساء هن من صِنف البشر كالرّجال تمامًا. فوجود الخَير في النساء أمرٌ طبيعيّ جدًا كوجود الشرّ أيضًا.

ثمّة نساء كثيرات في هذا العالم لا تعجبهن النساء المختلفات عنهن. فاضطهاد الأنثى للأنثى د، وإنكار هذا الأمر لا نتيجة له سوى خلق فُرَصٍ غير ضروريّة لمناهِضات النسويّة كي يشككن في النسويّات وجدوى النسويّة. أقصد بمُناهِضات النسويّة تلكم النّسوة اللواتي شرعان ما تقول الواحدة منهن - بابتهاج -"أنا لست نسويّة" عندما تأتي على سيرة امرأة نسويّة، وكأنّ الإنسان إذا وُلِدَ بمهبل وصرّح بذاك التّصريح فهو تلقائيًا يحُطّ من شأن النّسويّات! إذا أنكرت امرأة ما أنها نسويّة فذاك لا يُلغي ضرورة وأهميّة النسويّة. إن كان هناك أمرٌ

يحُطّ من أهميّة النسويّة، ويدفع المشكلة للاستمرار، فذاك الأمر هو سُلطة الرّجل. يتّضح لنا، كذلك، أنّه ليس النساء كلّهن نسويّات، وليس الرجال كلّهم مُعادون للمرأة.

---

(3) Gender.

المقترح الخامس عشر

علّميها الاختلاف، واجعلي من الاختلافات أمرًا اعتياديًا، اجعلي منها طبيعيّة. علّميها ألّا تُعطي أهميّة كبيرة للاختلافات. وليس السبب في ذلك هو أن تكون عادلة وطيّبة، بل لمجرّد أنها إنسانة وواقعيّة. لأن الاختلاف هو حقيقة عالمنا. ومن خلال تعليمك لها عن الاختلافات فإنك تزوّدينها بما يُنجيها في هذا العالم المنوّع.

يجب عليها أن تعرف وتفهم أن البشر يسيرون في طُرُق مختلفة في العالم، وتلك الطُّرق هي طُرُق صحيحة ويجب عليها احترامها طالما أنّها لا تضرّ الآخرين. علّميها أننا لا نعرف - لا يمكننا أن نعرف - كل شيء عن الحياة. الدين والعِلم معاً يمتلكان مساحات للأشياء التي لا نعرفها... هذه الفكرة كافية، ومن شأنها أن تجعلنا نشعر بالسلام.

علّميها ألّا تعمّم معاييرها أو تجاربها الخاصّة. علّميها أن تلك المعايير هي خاصّة بها وحدها، ولا تخصّ الآخرين. هذا هو نوع التواضع الوحيد الضروريّ: الإدراك بأنّ الاختلاف هو أمر طبيعيّ. أخبريها إن هناك أشخاصًا مثليّي الجنس، وأشخاصًا ليسوا كذلك، وليس بيدها تغيير الأمر. في بعض الأحيان قد يكون للطفل الصغير والدَين اثنين، أو والدتين اثنتين، فقط لأن الأمر هكذا.

أخبريها أن بعض الأشخاص يذهبون إلى المسجد، والبعض الآخر إلى الكنيسة، ويذهب غيرهم إلى دُور عبادة مختلفة، وآخرين لا يتعبّدون على الإطلاق، لا

لسبب آخر سوى أنّ هذه هي طريقة حياتهم وحسب.

قد تقولين لها: أنتِ تحبّين زيت النخيل، لكن البعض الآخر قد لا يحبّونه.

فتقول لكِ: لماذا؟

فتجيبينها: لا أعلم. ببساطة هكذا يسير العالم.

أرجوكِ أن تضعي في اعتبارك أنّي لا أقترح عليكِ تربيتها على "ألّا تُطلق أحكامًا على الآخرين،" ذاك التعبير الرّائج هذه الأيام، والذي يُقلقني بعض الشيء. الفكرة العامّة لتلك الفكرة حسنة، لكن فكرة "ألّا تُطلق أحكامًا على الآخرين" قد تتحوّل ببساطة إلى معنى آخر وهو "لا وجود لرأي حول أيّ شيء" أو"أنا أحتفظ برأيي لنفسي". ولذلك، فبدلاً من استخدام ذاك التعبير، هذه هي الفكرة التي آمل أن تتبنّاها تشيزالوم: أن تكون فتاة ملأى بالآراء، وأن تكون آراءها نابعة من فِكرٍ مضطلع، إنساني وواسع الأفق.

عسى أن تنعُم بالصحّة والسعادة، وأن تُصبح حياتها كما تشتهي.

هل تشعرين بالصّداع بعد قراءتك ذاك كله؟

أعتذر. من الأفضل إذًا ألّا تسأليني في المرّة القادمة كيف تُربّين ابنتك كي تصبح نسوية!

مع الحب، oyi gi،

تشيماماندا.

المؤلفة

نشأت تشيماماندا نغوزي أديتشي في نيجيريا. تُرجمت أعمالها إلى ثلاثين لغة مختلفة وظهرت في العديد من المطبوعات الأدبيّة، منها نيويوركر، وغرانتا. حصلت روايتها "زهرة الكركديه الأرجوانية" على جائزة كُتّاب الكومنولث؛ وفازت رواية "نصف شمس صفراء" بجائزة أورانج ووصلت إلى نهائيات جائزة National Book Award بترشيح من النقّاد، لكن التي فازت بها لاحقًا هي روايتها "أمريكانا" التي صُنِّفَت ككتاب العام من قبل نيويورك تايمز، وواشنطن بوست، وشيكاغو تريبون، وإنترتينمت ويكلي. أديتشي حاصلة على جائزة زمالة ماك آرثر، وهي تتنقّل في معيشتها بين الولايات المتحدة الأمريكية ونيجيريا.

المترجمة

لميس بن حافظ، كاتبة وإعلامية إماراتية. صدر لها روايتان، "حجر ورقة مقص" و"ملابس بيضاء في القِدر".